الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزراة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث

المستوى: سنة ثالثة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

الأفواج: (ف1+ف2+ف3)

المحاضرة الرابعة:

ظاهرة الالتزام في الشعر العربي الحديث والمعاصر

تمهيد:

جاء في تعريف "جبور عبد النور" في معجمه (المعجم الأدبي) أنّ الالتزام «حزم الأمور على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أوفنية، وانتقال التأييد الداخلي إلى التعبير الخارجي عن هذا الموقف، بما ينتجه الأديب أو الفنان من آثار، وتكون هذه الآثار محصلا لمعاناة صاحبها ولإحساسه العميق بواجب الكفاح والمشاركة الفعلية في تحقيق الغاية من الالتزام»[1].

وعرفه أحمد أبو حاقة بقوله: «أنّ الالتزام يقوم في الدرجة الأولى على الموقف الّذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا واستعدادا من المفكر الملتزم لأن يحافظ على التزامه دائما... فالالتزام يعني حرية الاختيار، وهو يقوم على المبادرة الإيجابية الحرة من ذات صاحبه مستجيبا لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه وقلبه»[2].
وعرفه "محمد علي الهاشمي" «الالتزام أن تفيض نفس الأديب بما يؤمن به، ويندفع بنصرته وتأييده والتضحية في سبيله»[3].

فالالتزام لا يعني أن يتحول الأدب إلى مواعظ ومنظومات في الأخلاق، وإنما هو إطار عام يتحرك الأديب ضمن حدوده الواسعة، فلا يدعو مثلا إلى انحراف فكري ولا يصبح أداة هدم لمقومات الأمة، ولا يخدش الحياء، ولا يحارب الثوابت الراسخة، بعد ذلك فللأديب أن ينطلق حرا طليقا مبدعا.

أولا- الالتزام في الشعر العربي الحديث والمعاصر

إنّ الشاعر الملتزم هو صاحب موقف واضح نلتمسه في شعره حيث يرتبط فكريا وشعوريا بشيء خارج عنه، فيشارك المجتمع والناس في قضاياه المختلفة، ويعرف "حامد حسن" الشاعر الملتزم بأنّه «الشاعر الّذي ينفعل بالحوادث الّتي تجري على أرض الواقع يعاينها ويعيشها بدمه، بحسه، بأعصابه بتطلعه، بكلّ مافي نفس الإنسان العربي المثقف، الشاعر الثائر، الّذي يتميز بصدق العاطفة وعمق المعاناة

[1] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م، ص31
[2] أحمد أبو حاقة، الاللتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م، ص12-14
[3] محمد علي الهاشمي: ومضات الخاطر بحوث ودراسات، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 1988م، ص204

والّذي يشد القارئ نغمه في المأساة، ثم لا يلبث أن ينتزعه من جحيمها، ليضعه أمام عظمة الفداء والكبرياء والنصر»[1].

فالالتزام في الشعر العربي كان نتيجة الظروف الصعبة الّتي عاشها العالم العربي لذا اتخذ الشعراء الملتزمون موقفا أمام قضايا وطنهم بصفة خاصة وقضايا الوطن العربي عامة، فنجد "محمود درويش" ينظم على بلده فيقول:

حالة الاحتضار الطويلة ارجعتني
ارجعتني إلى شاعر في ضواحي الطفولة
أدخلتني بيوتا
منحتني هوية
جعلتني قضية
حالة الاحتضار الطويلة
دفنوا جثتي في الملفات والانقلابات وابتعدوا[2]

فالشاعر يشعر بحالة احتضار لما يحدث في وطنه فلسطين والمأساة الّتي يعانيها الشعب الفلسطيني.

ومن الشعراء الملتزمين بقضايا الوطن العربي الشاعر العراقي "بدر شاكر السياب"، حيث عبر عن حبه لوطنه العراق والتزامه بالدفاع عن حقوق الشعب العراقي الّذي عانى من ويلات الاستعمار وجبروته فيقول في قصيدته "حنين في روما":

من جوع صغارك يا وطني، أشبعت الغرب وغربانه
صحراء من الدم تعوي، ترتجف مقرورة
ومرابط خيل مهجورة، ومنازل تلهث أواها
ومقابر ينشح موتاها[3]

يظهرهنا حب بدر شاكر السياب لشعبه الّذي أنهكه الذل والقهر والجوع، فيظهر في شعره النضال والالتزام بقضايا وطنه الضائع وشعبه المحروم، وإذا كانت ظروف القهر السياسي الّذي تعرضت له كثير

[1] ينظر: حامد حسن أثناء تقديمه للمسرحية الشعرية (جند الكرامة) للشاعر مصطفى عكرمة.
[2] ينظر: محمود درويش، ديوان محمود درويش، دار العودة، بيروت، ط 14، 1994م، ص 389
[3] بدر شاكر السياب، الديوان، دار العودة، بيروت، ط1، 1971م، ص149

من البلاد العربية قد فجرت لزمن روح الإصرار على حرية الإنسان وكرامته في بلده، فإن الشعر كان الطاقة الروحية الّتي تدفع ركب الحرية ليخترق سدود التحكم والسيطرة الّتي دامت زمنا طويلا.

وهناك كذلك نماذج أخرى من الشعراء الملتزمين من الوطن العربي كـ "نزار قباني" و"صلاح عبد الصبور" و"أحمد عبد المعطي حجازي" و"البياتي" وغيرهم كثيرون، حيث ترتبط كلّ قصيدة من قصائدهم بلحظة معاناة تتصل جذورها بالواقع النفسي للشاعر.

ثانيا- الالتزام في الشعر الجزائري

لقد كان الالتزام في الشعر الجزائري صاحبا للثورة التحريرية، فهي الّتي دفعت الشعراء إلى إثبات الذات في الساحة الفكرية والسياسية، كما أفرزت جيلا من الشعراء التزم بقضية الثورة ودافع عنها بكلّ ما أوتي من قوة الفكر وقريحة الشعر وفي ذلك تنافس الشعراء: "محمد العيد"، "مفدي زكرياء"، "صالح خرفي"، "صالح بوية"، "أحمد سحنون"، و"محمد لخضر السائحي".

فالأشعار الّتي جاءت أثناء الثورة المسلحة كانت منفعلة بالواقع الثوري، ذلك أنّ الشعراء عايشوا الثورة والأوضاع المأساوية الداخلية الّتي أوجدها الاستعمار، وأصبح الأدباء ألسنة لهذا الشعب يعبرون عن نفسه أكثر مما يعبرون عن أنفسهم، ويصورون حياته أكثر مما يصورون حياتهم، فأضحوا مرآة الشعب كما نلاحظ أنّ أدبنا اليوم واقعي... فهو متصل دائما بالحياة الواقعية.

ومن هنا فالالتزام هو «اعتناق الأديب شاعرا كان أم كاتبا بموضوعات وطنية أو إنسانية أو مذهبية عن اختيار، فالالتزام هو قبل كلّ شيء اختيار شخص دونما ضغط خارجي، فالأديب الملتزم يختار موضوعه وطريقه وتعبيره بحرية كاملة، لأنهما يوافقان مذهبه في الحياة ويلبيا نزعة عميقة في نفسه»[1].

ومن الشعراء الملتزمين في الجزائر على وجه الخصوص نذكر الشهيد "الربيع بوشامة" الّذي كان شعره صادقا يعبر عما يعانيه أبناء وطنه في قصيدته "حي في الأبطال":

حي في الأبطال فتيان الفداء وأخصص عميروش منهم بالثناء
بطل الثورة يبلي أبـــــــدا في جهاد المعتدي خير البـــــلاء
ويرد الصاع صاعين لـــــه بقتال مستميت ودهـــــــــــــاء
ويشيع الرعب في أعماقــه وبدنياه أنواع الشقـــــــــــــاء[2]

[1] محمد مصايف، فصول في النقد الجزائري الحديث،
[2] الربيع بوشامة، جمع وتقديم جمال قنان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2010م، ص 207

فالشاعر هنا يحيي البطل عميروش ويخصه بالمدح والثناء فهو لا يخشى الموت، ولا يستسلم للمعتدي .

ومن الشعراء الّذين عايشوا الوضع في الجزائر "محمد العيد آل خليفة" الّذي يقول في قصيدة "صوت جيش التحرير":

شهداء الأوطان شهب دجاهـا وشهود الفداء والإستبســـــــال
هذه الثورة عليها اجتمعنـــا وارتفعنا لقــمة الأبطـــــــال
لا تقلـــي أنا وأنـــت فيهـــا كلّنا قومها على كــلّ حـــــال
كلّنا إخوة في الدين والأرض اشتركنا في أشرف الأعمـــــال
كلّنا شعب وحدة واعتصـــام وليس نرضى في أرضنا بإنفصال[1]

ونذكر أيضا من الشعراء الملتزمين "محمد بلقاسم خمار"، وقد برز التزامه في قصيدته "منطق الرشاش" الّتي تزامنت مع أحداث الثورة فيقول:

لا تفكر لا تفكر...
يا لهيب الحرب زمجر ثم دمر...
في ذرى السماء من أرض الجزائر لا تفكر...
مزق الأحياء... أشلاء... وبعثر...
حطم الطغيان كسر...
وأنشر الإرهاب والنيران أكثر....
ثم أكثر...
سوف تظفر...
قوة المدفع... والرشاش... أكبر[2]

كما نجد "مفدي زكرياء" يلتزم بالقضايا الوطنية حتى لقب بشاعر الثورة، لأنّه أحس بها قبل أن ينتبهوا إليها، ودعا لها قبل أن تشتعل نارها، فيقول:

دعا التاريخ ليلك فاستجابـــا نوفمبر هل وفيت لنا النصابا؟
وهل سمع المجيب نداء شعب فكانت ليلة القدر الجوابـــا؟

[1] محمد العيد آل الخليفة، ديوان محمد العيد آل الخليفة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د.ط، 2010م، ص427
[2] محمد بلقاسم خمار، ديوان بلقاسم خمار، المجلد 2، أطفالنا للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2010م، ص150

تبارك ليلك الميمون نجمـــا وجل جلا له هتك الحجابـــا[1]

فالشاعر هنا يبارك ليلة الفاتح من نوفمبر الّتي انطلقت فيها الثورة، أمّا شعره فيرتكز على اللفظة القوية والكلمة الهادفة.

وفي نفس الصدد، يقول كذلك في قصيدة "وتعطلت لغة الكلام":

نطفق الرصاص فما يباح كلام وجرى القصاص فما يتاح مـلام
وقضى الزمان فلا مرد لحكمه وجرى القضاء وتمت الأحكـــام
السيف أصدق لهجة من أحرف كتبت فكان بيانها الإلهـــــــام
والنار أصدق حجة فأكتب بهـا ماشئت تصعق عندها الأحـــلام[2]

خاتمة:

إنّ الالتزام ظاهرة أدبية حفلت بها دواوين الشعراء، وقد برزت إلى الوجود للتعبير عن الآلام الّتي تعيشها الشعوب، وقد كانت كلّ الظروف مناسبة لظهورها على الساحة الأدبية، حيث ساعدها في ذلك تباين المجتمعات واختلاف الأنظمة والاتجاهات، هذا وقد ألح النقاد في العصر الحديث على وظيفة الأدب ودوره.

ملاحظة:

وجب علينا أن نفرق بين الالتزام والإلزام حيث أنّ:

الالتزام هو ابن الاختيار و**الإلزام** هو ابن الإجبار.

الأول ثمرة من ثمرات الوعي والإدراك والمسؤولية.

والثاني ثمرة من ثمرات التغييب والإملاء والتسيير.

فكلّ أديب ملتزم هو أديب حر شريف، وكلّ أديب ملزم هو أديب مستعبد، والأديب الملتزم كالطائر السابح المنطلق لا قيد يمسكه ولا غل يلتف حول يديه أو جناحيه أوعنقه، في حين الأديب الملزم هو كالطائر الحبيس.

[1] مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، 2009م، ص33
[2] مفدي زكارياء، اللهب المقدس، مرجع سابق، ص41